الباب الثاني عشر

في الايجاز والاطناب والمساواة

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول
فى دقة مسلكها واختلاف الأئمة فى تعريفها

هذا الباب اساس فى بنيان الفصاحة ، وركن ركين فى تكوين ملكة البلاغة حتى نقل صاحب (سر الفصاحة) عن بعضهم انه قال البلاغة هى الايجاز والاطناب واعلم ان علماء البيان افترقوا فرقتين فرقة منهم تثبت واسطة بين الايجاز والاطناب هى المساواة وعليها درج السكاكى ومن تبعه وقالوا انها ليست محمودة ولا مذمومة ، وفرقة منها ابن الاثير فى جماعة ذهبوا الى نفى الواسطة ومن ثم قسموا ايجاز غير الحذف قسمين ايجاز تقدير وهو ما ساوى لفظه معناه من غير زيادة وهذه هى المساواة على الرأى الأول ، وإيجاز قصر وهو ما يزيد معناه على لفظه .

ومن هذا تعلم ان الخلاف بينهم فى الاسم لا فى المسمى ، والطريقة الأولى أشهر بين أئمة الفن ولذا قد جرينا عليها .

المبحث الثانى
فـــى الايجـــاز

الايجاز لغة التقصير يقال اوجز فى كلامه اذا قصره ، وكلام وجيز اى قصير .

وفى الاصطلاح اندراج المعانى المتكاثرة تحت اللفظ القليل ، أو هو التعبير عن المقصود بلفظ اقل من المتعارف [١] واف بالمراد لفائدة [٢] .

فاذا لم يف كان اخلال وحذفا رديئا كقول الحارث بن حلزة اليشكرى :

والعـــيش خـــيـــر فى ظلال النوك ممن عـــاش كـــدا [٣]

لا شك انه يريد – والعيش الناعم الرغد خير فى ظلال النوك والحمق من العيش الشاق فى ظلال العقل لكن لحن كلامه لا يدل على هذا إلا بعد التأمل وانعام النظر .

وقول عروة الورد :

عجبت لهم اذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان اعذرا

فانه يريد اذ يقتلون نفوسهم فى اسلم :

وقول بعضهم نشرا فان المعروف اذا زجا [٤] كان أفضل منه اذا توفر وأبطء – لا شك انه يريد اذا قل وزجا .

(وهو ضربان ايجاز حذف وايجاز قصر) لان الكلام القليل ان كان بعضا من كلام اطول منه فهو الاول ، وان كان كلاما يفيد معنى كلام آخر اطول منه فهو الثانى .

---

(١) اى متعارف أوساط الناس على ما سياتى فى المساواة .

(٢) والفائدة كون المأتى به هو المطابق للحال ولا مقتضى للعدول عنه .

(٣) النوك بضم النون وفتحها الحمق وقبله :

عش بجد لا بضرك النوك ما أوتيت جدا

(٤) زجا الخراج تيسرت جبايته : فهو يريد السهولة والتيسير .

الحذفاما حذف مفرد او حذف جملة أو حذف جمل .

(١) حذف المفرد اوسع مجالا من حذف الجملة اذ هو اكثر استعمالا ، وذلك على صور :

(أ) حذف المسند اليه

(ب) حذف المسند قد مضى الكلام عليها

(جـ) حذف المفعول

(د) حذف المضاف وهو كثير الدوران فى الكلام كقوله تعالى ﴿ حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج ﴾ اى سدهما وقوله ﴿ لمن كان يرجو الله ﴾ اى رحمته ، وقوله ﴿ يخافون ربهم ﴾ اى عذاب ربهم .

(هـ) حذف المضاف اليه وهو قليل كقوله تعالى ﴿ لله الامر من قبل ومن بعد) اى من قبل ذلك ومن بعده .

(و) حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه وهو فاش كثير الاستعمال نحو ﴿ وعندهم قاصرات الطرف اتراب ﴾ اى حور قاصرات الطرف ، وكثر ما يكون ذلك فى باب النداء نحو يا اياها الظريف تقدير يا أيها الرجل الظريف ، وفى باب المصدر نحو ﴿ ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ﴾ تقديره وعمل عملا صالحا .

(ز) حذف الصفة واقامة الموصوف مقامها وهو نادر [١] من ذلك ما حكاه سيبويه من نحو قولهم سير عليه ليل يريدون طويل ، وقول الحماسى :

كل امرئ ستئيم منه العرس او منها يئيم

تقديره كل امرئ متزوج لان المعنى لا يصح الا به ، ومنه ان يتقدم مدح انسان والثناء عليه فتقول كان والله رجلا ، فأنت تعنى انه كان رجلا فاضلا جوادا كريما .

(ح) حذف القسم كقولك لاخرجن اى والله لاخرجن .

---

(١) وانما قل حذف الصفة وكثر حذف الموصوف لان الصفة ماجاءت الا للايضاح والتبيان فكثر ان تقوم مقام الموصوف بخلافه هو فانه يكثر ابهامه فلا جرم كان قيامه مقامها نادرا .

(ط) حذف جواب القسم وهو كثير فى القرآن الكثير نحو ﴿ والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر ﴾ تقديره لتعذبن يا كفار مكه .

(ى) حذف الشرط نحو ﴿ يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فإياى فاعبدون ﴾ تقديره فان لم يتسن لكم اخلاص العبادة لى فى ارض فاياى فاعبدون فى غيرها .

(ك) حذف جواب الشرط وهو نوعان :

(أ) ان يحذف لمجرد الاختصار كقوله تعالى ﴿ وإذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون ﴾ اى اعرضوا بدليل قوله بعده ﴿ إلا كانوا عنها معرضين ﴾ .

(ب) ان يحذف للدلالة على اية شئ لا يحيط به الوصف او لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن فلا يتصور شيئا الا والأمر اعظم منه نحو ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنه زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ .

(ل) حذف حروف المعانى وقد توسعوا فى ذلك لكثرة دورانها وفشوا استعمالها وكثر ذلك فى :

(لا) كقول عاصم المنقرى :

رأيت الخمر جامحة وفيها ... خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله اشربها حياتى ... ولا اسقى بها أبدا نديما

(لو) نحو ﴿ ما أتخذ الله من ولد ومن كان معه من الله اذا لذهب كل الله بما خلق ﴾ تقديره : اذ لو كان معه آلهة لذهب كل اله بما خلق .

(الواو) ولحذفها فائدة لا توجد عند اثباتها لان وجودها يؤذن بالتغاير بين الجملتين وحذفها يصير الجملتين كانهما جملة واحدة ، وهذا من بديع الايجاز وحسنه كحديث أنس بن مالك كان أصحاب رسول الله ينامون ثم يصلون لا يتوضئون ، وفى رواية ولا يتوضئون فالحذف دل على اتصال الجملتين حتى كان الثانية احدى

متعلقات الأولى فهو فى حكم ينامون ثم يصلون غير متوضئين ، وبذا تتم المبالغة المرادة وهى انهم لا يذوقون النوم الا غرارا .

(٢) حذف الجملة [١] وهذا يكون اما .

(أ) بحذف مسبب ذكر سببه نحو ليتحق الحق ويبطل الباطل اى فعل ما فعل ، ومنه قول ابى الطيب :

اتى الزمان بنوه فى شبيبته فسرهم واتيناه على الهرم

اى فساءنا .

(ب) عكسه نحو ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت ﴾ اى لضربه بها فانفجرت :

(جـ) بحذف الاسئلة المقدرة ويلقب بالاستئناف وذلك على نوعين .

(أ) استئناف باعادة اسم ما استؤنف عنه كقولك أحسنت [٢] الى على ، على حقيق بالاحسان فتقدير المحذوف وهوالسؤال المقدر لماذا أحسن اليه او نحو ذلك .

(٢) استئناف باعادة صفته كقولك أكرمت محمدا – صديقك الكريم أهل لذلك منك ، تقدير السؤال المحذوف هل هو حقيق بالاكرام ، والنوع الثانى لاشتماله على بيان السبب الموجب للحكم كالصداقة فى هذا المثال .

(٣) حذف الجمل وأكثر ما يرد فى كلام رب العزة فهناك يتجلى مراتب الاعجاب ويظهر مقدار التفاوت فى صنعة الكلام وذلك كقوله تعالى ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ﴾ اى فضربوه بها فحى فقلنا كذلك يحى الله الموتى ، وقوله ﴿ أنا انبئكم بتأويله فأرسلون يوسف ﴾ اى فأرسلونى الى يوسف لأستعبره الرؤيا فأرسلوه اليه فأتاه وقال يا يوسف ، قوله (فقلنا اذهبا) الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا) اى فأتياهم فأبلغاهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم تدميرا .

والحذف على وجهين : (١) الا يقام شئ مقام المحذوف كما تقدم (٢) ان تقام مقامه ما يدل عليه كقوله تعالى ﴿ فان تولوا فقد بلغتكم ما ارسلت به اليكم ﴾ .

---

(١) المراد بالجملة هناك الكلام المستقل بالافادة الذى لا يكون جزءا من كلام اخر والا دخل الشرط والجزاء وقد تقدم عد حذفهما من حذف المفرد .

(٢) المقصود من الاخبار اعلام المخاطب بانه وقع الاحسان منه الا على لتقرير الاحسان السابق واستجلاب الاحسان اللاحق .

أى فلا لوم على لأنى قد أبلغتكم

وأدلة الحذف كثيرة منها

(أ) العقل الدال عليالمحذوف ، والمقصود لأظهر الدال على تعيينه كقوله تعالى ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ الآية ، فالعقل يدل على ان الحرمة انما تتعلق بالافعال لا بالذوات والذى يتبادر قصدره من مثل هذه الأشياء انما هو التناول الذى يعم الاكل والشرب .

(ب) العقل الدال عليهما معا كقوله تعالى ﴿ وجاء ربك ﴾ اي امره او عذابه ، ويرى صاحب الكشاف ان هذا ليس من باب الحذف وانماهو تمثيل لظهور قدرته وتبيين سلطانه وقهره فمثلت حاله فى ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره ووزرائه وخواصه على بكرة ابيها .

(جـ) العقل الدال على المحذوف والعادة الدالة على تعيينه كقوله تعالى فذلكن الذى لمتننى فيه فقد دل العقل على الحذف لأنه لا معنى للوم على ذات الشخص واما تعيين المحذوف فانه يحتمل ان يقدر فى حبه لقوله شغفها حبا او فى مراودته نقوله : تراود فتاها عن نفسه ، او فى شأنه حتى يشملهما معا ، ولكن العادة تقضى بأن الحب المفرط لا يلام عليه صاحبه لانه ليس من كسبه واختياره وانما يلام علي المراودة التى يقدر ان يدفعها عن نفسه .

(د) العقل الدال على المحذوف والشروع فى الفعل الدال على تعيينه كما فى باسم الله فانك تقدر المتعلق ما جعلت التسمية مبدأ له من نحو آكل أو اشرب او اسافر .

(هـ) العقل الدال على المحذوف واقتران الكلام بالفعل الدال على تعيينه كما تقول للعرس بالرفاء والبنين اى اعرست .

ايجـازالقصـر

هو ما تزيد فيه المعانى على الالفاظ الدالة عليها بلا حذف ، وللقرآن الكريم فيه المنزلة التى لا تسامى والغاية التى لا تدرك نحو ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ﴾ فتلك آية نعت مكارم الاخلاق وأنطوى تحتها كل دقيق وجليل اذ فى العفو

الصفح عمن اساء والرفق فى سائر الامور بالمسامحة والاغضاء وفى الامر بالمعروف صلة الارحام ومنع اللسان عن الكذب والغيبة وغض الطرف عن المحارم ، وفى الاغراض عن الجاهلين الصبر والحلم وكظم الغيظ .

وقوله عز اسمه ﴿ والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ﴾ فقد استوعبت تلك الكلمات القليلة أنواع المتاجر وصنوف المرافق التى لا يبلغها العد ، وقوله ﴿ إلا له الخلق والأمر ﴾ فهاتان كلمتان احاطتا بجميع الأشياء على غاية الاستقصاء ولذا ولذا روى ان ابن عمر قرأها فقال من بقى له شئ فليطلبه .

وقوله تعالى ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾ فتلك جملة تضمنت سرا من اسرار التشريع الجليلة التى عليها مدار سعادة المجتمع البشرى فى دنياه وأخراه – بيان ذلك ان الإنسان اذا هم بقتل آخر لشئ أغاظه منه فذكر انه ان قتله قتل ارتدع عن القتل فسلم المهموم بقتله وصار كأنه استفاد حياة جديدة فيما يستقبل بالقصاص مضافة الى الحياة الاصلية ، وأين هذا مما اثر عن العرب من قولهم القتل انفى للقتل . فان الآية تمتاز بوجوه [1] .

(١) انها كلمتان وما اثر عنهم أربع .

(٢) لا تكرار فيها وفيما قالوه تكرار .

(٣) ليس كل قتل يكون نافيا للقتل وانما يكون لك اذا كان على جهة القصا ص .

(٤) حسن التاليف وشدة التلاؤم المدركان بالحسن فيها لا فيما قالوه .

(٥) ان فيها الطباق للجمع بين القصاص والحياة وهما كالضدين كما ستعرف ذلك فى البديع .

(٦) ان فيها التصريح بالمطلوب وهو الحياة بالنص عليها فيكون ازجر عن القتل بغير حق وأدعى الى الاقتصاص .

(٧) ان القصاص جعل فيها كالمنبع للحياة والمعدن لها بادخان فى عليه ، فكأن أحد الضدين وهو الفناء صار محلا لضده الآخر وهو الحياة ، وفى ذلك ما لا يخفى من المبالغة ، وقد نظم ابو تمام معنى ما ورد عن العرب فى شطر بيت فقال :

---

(١) فاضل بينهما السيوطى فى الاتقان باكثر من عشرين وجها أهمها ما ذكرناه .

وأخافكم كي تعمدوا اسيافكم (ان الدمَ المُغبر يحرسه الدم)

كما للسنة النبوية من ذلك الحظ الاوفر يرشد الى ذلك قوله عليه السلام «اوتيتُ جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا» .

فمن ذلك قوله . المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وعودوا كل جسم ما أعتاد فهو قد جمع من الأسرار الطبية الشئ الكثير ، وقوله الطمع فقر واليأس غنى .

وقوله على كرم الله وجهه : ثمرة التفريط الندامة – لكل مقبل ادبار وما ادبر كما كان لم يكن – لا يعد من الصبور الظفر وان طال به الزمان – من استقبل وجوه الآراء عرف وجوه الخطأ – من أحد سنان الغضب لله قوى على قتل أسد الباطل .

وقول بعض الاعراب : اللهم هب لى حقك وارض عنى خلقك ! فلما سمعه علي عليه السلام قال هذا هو البلاغة ، وقول السموأل بن عاديا الغسانى :

وان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس الى حسن الثناء سبيل

فقد اشتمل على مكارم الاخلاق من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر وتكلف واحتمال مكاره اذ كل هذه مما تضيم النفس لما يحصل فى تحملها من المشقة والعناء .

المبحث الثالث

فى المساواة[1] - ايجاز التقدير

هى التعبير عن المعنى المقصود بلفظ مساوله لفائدة [2] بحيث لا يزيد احدهما على الآخر حتى لو نقص اللفظ تطرق الخرم الى المعنى بمقدار ذلك النقصان .

وهى المذهب المتوسط بين الايجاز والاطناب واليها يشير القائل : كان الفاظه قوالب معانيه ، كقوله تعالى ﴿ من كفر فعليه كفره – كل امرئ بما كسب رهين ، ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ﴾ .

وقوله عليه السلام « الحلال بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات – انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى – الضعيف امير الركب » .

وقول على كرم الله وجهه : عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته قد بصرتم ان ابصرتم وهديتم ان اهتديتم .

---

(١) وهى لا تحمد ولا تذم اذ لا يحتاج فيها الى اعتبار نكتة بل يكفى فيها عدم المقتضى للعدول عنها الا اذا اقتضى القام تادية اصل العنى وراعاه البليغ فان ذلك يكون محمودا ومن هذا ما جاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف وغيرهما من كلام فصحاء العرب .

(٢) وهو كون المأتى به هو الاصل ولا داعى للعدول عنه .

المبحث الرابع
فى الاطناب

هو لغة مصدر أطنب فى كلامه اذا بالغ فيه وطول ذيوله ، واصطلاحا زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، فخرج بذكر الفائدة التطويل والحشو والفرق بينهما ان الزائد ان كان غير متعين كان تطويلا وإن كان متعينا كان حشوا وكلاهما بمعزل عن مراتب البلاغة فالأول نحو :

الا حبذا هند وارض بها هند وهند اتى من دونها النأى والبعد

فالنأى والبعد واحد ولا يتعين احدهما للزيادة .

والثانى ضربان :

(أ) ما يفسد به المعنى كقول ابى الطيب فى رثاء غلام لسيف الدولة :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

يريد انه لا خير فى الدنيا للشجاعة والصبر لولا الموت ، وهذا حسن جميل لأنهما انما عدا من الفضائل لما فيهما من الاقدام على الموت واحتمال المكاره ، ولو علم الإنسان انه خالد فى الدنيا هان عليه اقتحام المخاطر ، كما انه لو ايقن بزوال المكروه صبرلوثوقه بالخلاص – اما الندى فعلى العكس من ذلك لأن الموت يجعل البذل سهلا اذ من علم انه لو ايقن بزوال المكروه صبر لوثوقه بالخلاص – اما الندى فعلى العكس من ذلك لأن الموت يجعل البذل سهلا اذ من علم انه ميت فهو جدير ان يجود بماله كما قال طرفة :

فان كنت لا تستطيع دفع منيتى فذرنى ابادرها بما ملكت يدى (١)

فهو حشو مفسد ، وقد اعتذر له بعض الناس بما فيه تكلف وتعسف .

(ب) ما لا يفسد به كقول ابى العيال الهذلى :

---

(١) تستطيع تستطيع والجأ اليها الشاعر للمحافظة على الوزن .

ذكـــــرت اخى فـــــعـــــاودنى صـــــــــداع الرأس والوصب [1]

فذكر الرأس مع الصداع حشو لأنه لا يكون فى غيره من الأعضاء ، وقوله ابى عدى .

نحن الرؤوس وما الرؤوس اذا سمت فى المجد للأقوام كالأذناب

فان قوله للأقوام حشو لا فائدة فيه مع انه غير مفسد .

تنبيه . قال بدر الدين بن مالك فى المصباح .

يكثر الحشو بلفظ اصبح وامسى وعدا والا وقد واليوم ولعمرى وياصاحبى كما قال ابو تمام .

اقرّوا (لعمرى) بحكم السيوف وكانت احق بفصل القضا

وكما قال البحترى .

ما أحسن الايام الا انها (ياصاحبى) اذا مضت لم ترجع

والداعى اليه اما اصلاح وزن الشعر او تناسب القوافى وحروف الروى او قصد السجع فى النثر .

ويكون الاطناب بأمور شتى منها .

(١) الايضاح بعد الابهام ليرى المعنى فى صورتين مختلفتين وليتمكن فى النفس فضل تمكن ، فان الكلام اذا قرع السمع على جهة الابهام ذهب السامع فيه كل مذهب ، فإذا وضح تمكن فى النفس فضل تمكن وكان شعورها به أتم ، ومنه قوله تعالى ﴿ وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾ فقوله ان دابر هؤلاء تفسير لذلك الامر تفخيما لشأنه ، ولو قيل وقضينا اليه ان دابر هؤلاء مقطوع لم يكن له من الروعة مثل ما كان له من الابهام – يرشد الى ذلك انك لوقلت هل أدلكم على اكرم الناي أبا وافضلهم حسبا وامضاهم عزيمة وانقذهم رأيا ثم قلت فلان كان ادخل فى مدحه وأنبل وأفخم مما لو قلت فلان الاكرم الافضل .

ومن ضروبه باب نعم وبئس على قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف اذا

---

(١) الوصب نحول الجسم من تعب او مرض .

لو اريد الاختصار لقيل نعم وبئس ابو لهب عوضا من قولك نعم الرجل محمد وبئس الرجل ابو لهب .

ووجه حسنه ابراز الكلام فى معرض الاعتدال نظرا الى اطنابه من وجه وايجازه من وجه آخر ، الى ايهام الجمع بين المتناقضين .

والتوشيع [1] وهوان يؤتى فى عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين احدهما معطوف على الآخر نحو قوله عليه السلام : « خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن ، البخل وسوء الخلق » وقول ابن الرومى يمدح عبد الله بن وهب :

اذا أبو قاسم جادت لنا يده ... لم يحمد الاجودان البحر والمطر

وان اضاءت لنا انوار غرته ... تضاءل النيران الشمس والقمر

(٢) ذكر الخاص بعد العام تنبيها الى ماله من المزية حتى كانه ليس من جنس العام وتنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات كقوله تعالى ﴿ من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل ﴾ فذكر جبريل وميكال مع دخولهما فى الملائكة للتنبيه على زيادة فضلهما .

(٣) التكرير وقد جاء فى القرآن الكريم وكلام العرب منه شئ كثير ، ويكون اما .

(أ) للتأكيد كقوله تعالى ﴿ كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ﴾ وقوله كم نعمة كانت لكم كمْ كم وكم .

(ب) لزيادة التنبيه الى ما ينفى التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول نحو ﴿ وقال الذى آمن يا قوم [2] اتبعون اهدكم سبيل الرشاد ﴾ يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع .

(جـ) لتعدد المتعلق كما كرر الله عز وجل فى سورة الرحمن قوله ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ لانه تعالى عدد فيها نعمائه وذكر عباده آلاءه ونبههم الى قدرها وقدرته عليها ولطفه فيها ، وجعلها فاصلة بين كل نعمة ليعرف موضع ما أسداه اليهم منها ، وقد جاء مثل ذلك كثيرا فى كلام العرب ألا ترى الى

---

(١) لغة لف القطن المندوف .

(٢) اذ تكرار يا قوم مع اضافته الى ياء المتكلم يفيد بعد القائل عن التهمة فى النصح ، اذ اتهم قومه فلا يريد لهم الا ما يريده لنفسه .

مهلهل وقد كرر قوله ﴿ على ان ليس عدلا من كليب كليب [1] ﴾ فى أكثر من عشرين بيتا من قصيدته ، والى الحرث بن عياد وقد كرر قوله (قربا منى مربط النعامة [2]) اكثر من سابقه – لانهما رأيا الحاجة ماسة الى التكرير والضرورة داعية اليه لعظم الخطب وشدة موقع النكبة .

(٤) الايغال [3] وهو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدون التصريح بها وذلك اما :

(أ) لزيادة المبالغة والتأكيد كقول الخنساء .

وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

فقولها فى رأسه نار من الايغال الحسن اذا لم تكتف بان تشبهه بالعلم الذى هو الجبل المرتفع المشهور بالهداية حتى جعلت فى رأسه نارا لما فى ذلك من زيادة الظهور والانكشاف .

(ب) لتحقيق التشبيه كقول امرئ القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذى لم يثقب [4]

فقد أكد التشبيه وأظهر رونقه بقوله لم يثقب لأن الجزع اذاكان غير مثقوب كان بالعيون اشبه ، وقيل لا يختص بالشعر بل يكون فى النثر كقوله تعالى ﴿ اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون ﴾ فان الرسل معتدون لا محالة فالمعنى يتم بدون التصريح بقوله ﴿ وهم مهتدون ﴾ الا أن فيه زيادة حث وترغيب على اتباع الرسل .

(٥) التذييل [5] وهو الاتيان بجملة مستقلة عقب الجملة الأولى التى تشتمل على معناها للتأكيد وهو ضربان .

(أ) ان يخرج مخرج المثل بان يقصد الجملة الثانية حكم كلى منفصل عما قبله

---

(١) العدل النظير وتكملة البيت الاول منها : اذا طرد اليتيم عن الجزور ..

(٢) وتتبعه اخر بيت فيها قوله ليجبر فداء عمى وخالى . والنعامة فرسه وبحير ابنه كان قد قتله مهلهل فى حرب البسوس فقال الحارث ذلك حين الاخذ بالثار .

(٣) من أوغل فى البلاد اذا أبعد فيها .

(٤) الجزع بفتح الجيم خرز بما فيه بياض وسواد تشبه به للعيون .

(٥) هو أعم من الايغال من جهة انه يكون فى الاخر وغيره وأخص من جهة ان الايغال قد يكون بغير الجملة ولغير التوكيد .

جار مجرى الامثال فى فشو الاستعمال نحو ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ﴾ وقول الخطيئة .

نزور فتى يعطى على الحمد ماله ومن يعط اثمان المكارم يحمد

(ب) الا يخرج مخرج المثل بالا يستقل بالافادة دون ما قبله نحو . قول ابن نباتة السعدى .

لم يبق جودك لى شيئا أأمّله تركتنى اصحب الدنيا بلا امل

وقوله تعالى ﴿ ذلك جزيناهم بماكفروا وهل يجازىَ الا الكفور ﴾ [1] وينقسم ايضا الى :

(أ) ماكان تأكيدا لمنطوق الكلام كالآية وقل جاء الحق الخ .

(ب) ما كان تأكيدا لمفهومه كقول النابغة :

ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اى الرجال المهذب [2]

فصدر البيت دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال وقد حقق ذلك بعجزه .

(٦) التكميل ويسمى الاحتراس ايضا ، وهو ان يؤتى فى كلام يوهم خلاف المراد بما يدفعه ، وهو ضربان .

(أ) أن يتوسط الكلام كقوله :

لو ان عزة خاصمت شمس الضحى فى الحسن (عند موفق) لقضى لها

اذ التقدير عند حاكم موفق فقوله موفق تكميل ، وقول ابن المعتز .

صببنا عليها (ظالمين) سياطنا فطارت بها ايد سراع وارجل

فقوله ظالمين تكميل دفع به توهم انها بليدة تستحق الضرب .

(ب) ان يقع آخر الكلام كقوله تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين فانه لو اقتصر على وصفهم

---

(١) اذ المراد ذلك الجزاء المخصوص وهو ارسال سيل العرم وتبديل الجنتين على قول وقيل ان المراد مطلق الجزاء وهى المكافاة خيرا أو شرا وعلى هذا يكون من الجارى مجرى المثل .

(٢) الشعث التفرق والخصال الذميمة والاستفهام انكارى وتلمه من لم الشئ جمع بعضه الى بعض وهو حال من اخا لان المقصود منه العموم لا الخصوص .

بالذلة على المؤمنين لتوهم انها ناشئة من ضعفهم فدفع هذا بقوله اعزة على الكافرين .

وقول السموأل بن عادياء .

وما مات منا سيد فى فراشه ولا طل منا حيث كان قتيل

فانه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل اياهم فربما علق بالوهم ان ذلك لضعفهم وقلتهم فأزال هذا الوهم بالانتصار من قاتليهم .

(٧) التتميم وهو ان يؤتى فى كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضله كمفعول او حال او نحو ذاك ، لقصد المبالغة [١] كقول زهير يمدح هرم ابن سنان .

من يلق يوما على علاته هرما يلق السماحة منه والندى خلقا

فقوله على علاته اى على كل حال او على ما فيه من الأحوال والشئون ، تتميم وقع فى غاية الحسن والرشاقة .

(٨) الاعتراض وهو ان يؤتى فى اثناء الكلام [٢] او بين كلامين متصلين معنى [٣] بجملة او اكثر لا محل لها من الاعراب [٤] لنكتة سوى دفع الايهام [٥] . وهو من دقائق البلاغة وساحر البيان [٦] . وفائدته اما .

(أ) التنزيه والتعظيم كقوله تعالى ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون ﴾ فسبحانه [٧] نسوق للتنزيه عن اتخاذ البنات .

(ب) اوالتقرير فى نفس السامع نحو واذ قلتم نفسا فادارأتم [٨] فيها ﴿ والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها ﴾ فقوله والله مخرج جاءت معترضة لتقرير ان تدافع بنى اسرائيل فى قتل النفس نافعا فى اخفائه وكتمانه لان من لا تخفى عليه خافية مظهره لا محالة .

---

(١) فالمتكلم يحاول الا يدع شيئا مما به يتم حسن المعنى .

(٢) خرج الايغال فى الاخر .

(٣) بأن يكون الثانى بيانا للاول او تأكيدا او بدلا منه .

(٤) خرج التتميم لوجود الاعراب فيه .

(٥) خرج التكميل .

(٦) لما فيه من حسن الافادة مع مجيئه مجيئ مالا معول عليه فى الافادة فهو كالحسنة تاتى من حيث لا ترتقب . للعامل فهى حالية والا فهى اعتراضية .

(٧) هو جملة لانه مصدر بتقدير الفعل .

(٨) تدافعتم واختصتم .

(ج) اوالتصريح بما هو المقصود كقول كثير عزة .

لو ان البـــــاخلين وأنت منهم رأوك تعلمـــــوا منك المطالا

فقوله وأنت منهم تصريح بماهو المقصود من ذمه وتأكيد لانصراف الذم إليه .

(د) والدعاء كقول ابى الطيب .

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا

فقوله وحاشاك اعتراض حسن فى موضعه ، والواو فى مثله اعتراضية ليست عاطفة ولا حالية [1] .

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا

(هـ) او تنبيه المخاطب على أمر يؤكد الاقبال على ما أقربه مما فيه مسرته كقوله :

وأعلم فعلم المرء ينفعه ان سوف يأتى كل ما قدرا

(و) او الاستعطاف كقول المتنبى :

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه ياجنتى لرأيت فيه جهنما

(ز) او تنبيه المخاطب على أمر غريب كقوله :

فلا هجره يبدو وفى اليأس راحة ولا وصله يبدو لنا فنكارمه

فان قوله فلا هجره يبدو يشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه وغريب ان يكون هجر الحبيب مطلوبا للمحب فقال (وفى اليأس راحة) لينبه الى السبب .

ومما جاء بين كلامين متصلين معنى وهو اكثر من جملة ايضا قوله تعالى ﴿ فاتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم ﴾ فان قوله نساؤكم حرث لكم بيان لقوله فاتوهن من حيث أمركم الله لافادة ان الغرض الاصلى من الاتيان هو طلب النسل لاقضاء الشهوة فقط وما بينهما اعتراض للترغيب فيما امروا به والتنفيرعما نهوا عنه .

(٩) النفي والاثبات بأن يذكر الشئ على جهة النفى ثم يثبت او بالعكس نحو ﴿ وعد الله لا يخفف الله وعده ولكن اكثرالناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة

---

(١) الفرق بين الواو الحالية والاعتراضية بالقصد فان قصد كونالجملة قيدا .

الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) نفى عنهم اولا العلم بما خفى عليهم من تحقيق وعده ثم اثبت لهم آخرا العلم بظاهر الحياة الدنيا دون ماكان مؤديا الى الجنة .

(١٠) ما كان كقولهم رأيته بعينى ، وقبضته بيدى ، ووطئته بقدمى ، وذقته بلسانى – يذكرون الظروف فيما يصعب حصوله دلالة على أن نيله ليس بمتعذر وعلى هذا جاء قول البحترى :

تأمل من خلال السجف وانظر بعينك ما شربت ومن سقانى
تجد شمس الضحى تدنو بشمس اليّ من الرحيق الخسروانى (١)

فحضور مثل هذا المجلس نادر ولا سيما اذا كان الساقى فيه على ما وصف من الحسن ومن ثم قال انظر بعينك .

(تنبيه قد يوصف الكلام بالايجاز والاطناب باعتبار كثرة حروفه وقلتها بالنسبة الى كلام آخر مساويا له فى اصل المعنى كقوله الشماخ يمدح عرابة الاوسى :

تذ مسارابة رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

مع قول بشر بن ابى حازم يمدحه ايضا :

اذا ما المكرمات رفعن يوما وقصر مبتغوها عن مداها (٢)
وضاقت اذرع المشرين عنها سما أوس اليها فاختواها

---

(١) السجف بالكسر وللفتح الستر وجمعه سجوف واسجاف وهو ستران مقرونا بينهما فرجة اوهو كل باب ستر يستر من مقرونين وكل شق سجف وسجاف واسجف الستر أرسله ، والخسروانى ضرب من الثياب منسوب إلى خسراوية ببلاد فارس .

(٢) رفعَ المكرمات يراد به بروزها للطالبين ومبتغوها طالبوها ، واختواها اخذها .

المبحث الخامس

فى الايجاز افضل ام الاطناب

مواضع كل منهما :

اختلفت آراء الأئمة فى تفضيل الايجاز على الاطناب اوالعكس .

فمن مفضل للايجاز كشبيب بن شيبة اذ يقول القليل الكافى خير من كثيرغير شاف ، ويقول آخر اذا طال الكلام عرضت له اسباب التكلف ولا خير فى شئ يأتى به التكليف .

ومن مرجح للأطناب وحجته ان المنطق انما هو البيان ، والبيان لا يكون الا بالاشباع ، والشفاء لا يقع الا بالاقناع ، وأفضل الكلام ابينه ، وابينه اشده احاطة بالمعانى ولا يحاط بالمعانى احاطة تامة الا بالاستقصاء - اضف الى ذلك ان الايجاز للخواص ، والاطناب مشترك بينالخاصة والعامة والغبى والفطن .

والمختار ان الحاجة الى كل ماسة ، وان لكل موضعا لايسد عنه فيه سواه ، فمن استعمل احدهما فى موضع الآخرفقد اخطأ ، قال جعفر بن يحيى متى كان الايجاز ابلغ كان الاكثار عيا ، ومتى كانت الكفاية فى موضع الاكثار كان الايجاز تقصيرا يرشد الى ذلك قول القائل يصف خطباء اياد .

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحى وحى الملاحظ خشية الرقباء [1]

وقد استحبوا الايجاز فى المواضع الآتية :

(١) الكتب الصادرة عن الملوك الى الولاة فى أوقات الحروب والازمات .

(٢) الأوامر والنواهى السلطانية .

(٣) كتب السلطان بطلب الخراج وجباية الاموال وتدبير الاعمال .

---

(١) الوحى الاشارة بالكلام الخفى والملاحظ جمع ملحظ كمطلب اللحظ ووحى منصوب على المصدر اى تارة يوحون اى يأتون بكلام سريع خفى كحال من ينظر الى حبيبه بمؤخر عينيه خوفا من الرقباء .

(٤) كتب الوعد والوعيد .

(٥) الشكر على النعم التى تسبغ ، والعوارف التى تسدى .

(٦) الاستعطاف وشكوى الحال وسؤال حسن النظر وشمول العناية .

(٧) التنصل من الذنب ، والاعتذار من التقصير بايراد الحجج التى تقنع المخاطب وتزيل موجدته .

واستحسنوا البسط والاطناب فى المواضع التالية :

(١) ما يكتب به عن الملوك فى جسيمات الامور التى يراد تقريرها فى نفوس العامة كأخبار الفتوح المتجددة ، فهذا موضع يشبع فيه القول حتى تعرف الرعية قدر النعمة فتزيد فى الطاعة ، ولا بأس من تهويل امرالعدو ووصف جمعه وعظيم اقدامه ، لأن فى تصغير أمره تحقيرا للظفر به .

(٢) ما يكتب به عن الملوك إلى أهل الثغور فى أوقات التحرض بالمملكة واقدام العدو على الهجوم عليها ليعلموا ذلك فيستعدوا للقاء .

(٣) ما يكتب به الولاة ومن فى حكمهم الى الملوك لأخبارهم بأحوال ما ينظرون فيه من الأعمال وما يجرى على أيديهم من مهام الأمور .

(٤) الموعظة والارشاد بالترغيب فى الطاعة والنهى عن المعصية ، حتى يرتاح قلب المطيع وينبسط امله ويرتاع قلب المسئ ويأخذ الخوف منه كل مأخذ .

(٥) الخطب فى الصلح بين العشائر لإصلاح ذات البين .

(٦) المدح والثناء والهجاء .

أسرار البلاغة فى الايجاز والاطناب

قد عرفت كلا من الايجاز والاطناب ومواضع كل منهما فعليك ان تعرف الدواعى التى لأجلها استعملتهما العرب فى كلامها .

فمن دواعى الايجاز :

(١) سهولة الحفظ فقد روى ان الخليل بن أحمد قال . يختصر الكتاب ليحفظ ويبسط ليفهم ، وقيل لابى عمرو بن العلاء . هل كانت العرب تطيل قال نعم كانت تطيل ليسمع منها ، وتوجز ليحفظ عنها .

(٢) اخفاء الامر عن غير المخاطب .

(٣) ضيق المقام خوف فوات الفرصة .

(٤) ذكاء المخاطب حيث تكفيه اللمحة والوحى والاشارة .

ومن دواعى الاطناب .

(١) توكيد المعنى وتثبيته فى النفس ،أفلا ترى إلى قوله تعالى فى باب الموعظة ﴿ افامن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ، أو أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ، أفامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ﴾ .

(٢) دفع اللبس الذى كان يحتمل وجوده مع الايجاز واعتبر ذلك بما تراه فى قوله تعالى ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ﴾ فكلمة القلب تحتمل أحد معنيين القطعة من اللحم والفم والادراك . لهذا اتى بكلمة فى جوفه ليتعين المعنى الثانى ويزول اللبس ، وقوله تعالى ﴿ فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي فى الصدور ﴾ فاتى بكلمة فى الصدور لدفع اللبس بأن المراد بها العيون الباصرة .

(٣) التعظيم والتهويل . انظر الى قوله تعالى (اذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت ، وإذا الجبال سيرت ، وإذا العشار عطلت ، وإذا الوحوش حشرت ، واذا البحار سجرت ، وإذا النفوس زوجت ، وإذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت ، وإذا الصحف نشرت ، وإذا السماء كشطت ، وإذا الجحيم سعرت ، وإذا الجنة أزلفت ، علمت نفس ماأحضرت ﴾ اذ كان يكفى فى الدلالة على وقت علم النفس ما أحضرت قوله ﴿ اذا الشمس كورت ﴾ أو غيره مما يعده من الاثنى عشر المذكورة ، لكنه عددها لتهويل شأن هذا اليوم .

تدريب أول

بين الايجاز والاطناب والمساواة مع ذكر السبب فيما يلى :

(١) أفامن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون . أوأمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون . أفامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون .

(٢) ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا .

(٣) وقال اعرابى ان شككت فىّ فأسأل قلبك عن قلبى .

(٤) واحرص على حفظ القلوب من الأذى ان الزجاجة كسرها لا يشعب .

(٥) والشفع والوَتر والليل اذا يسر هل فى ذلك قسَم لذى حجز .

(٦) **جزى الله عناجعفرا حين ازلقت بنا نعلنا فى الواطئين فزلت**

هم خلطونا بالنفوس والجئوا الى حجرات ادفأت واظلت

(٧) اخرج منها ماءها ومرعاها :

(٨) وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين .

الاجابة

الرقم	التعبير ونوعه	السبب
(١)	اطناب	بالتكرار للتأكيد والانذار ولتهديد لهم على سوء فعلهم .
(٢)	اطناب	بالايضاح بعد الايهام فقد فسر ذلك الفوز بقوله حدائق واعنابا .
(٣)	ايجاز بالقصر	اذ سؤال القلب عن القلب يشمل معانى كثيرة فالقلب موضع الحب والبغض ومستودع السر والشكوى .
(٤)	اطناب	بالتذليل الجارى مجرى المثل .
(٥)	ايجاز بالحذف	لحذف جواب القسم تقديره وحق هؤلاء لأعذبن أولئك بدليل قوله بعد الم تر كيف فعل ربك بعاد .
(٦)	ايجاز بالحذف	لحذف المفاعيل اذ التقدير الجئونا وأظلتنا وأفأتنا .
(٧)	ايجاز بالقصر	اذ دل بشيئين على جميع ما أخرجته الأرض قوتا ومتاعا للناس من العشب والشجر والحطب واللباس والنار والماء .
(٨)	ايجاز بالقصر	اذا جمعت نعم الجنة مما لا تحصره الافهام ولا يخطر لك على بال

تدريـــــب ثـــان

(١) علمتنى نبْوتك سلوتك واسملنى ياسى منك إلى الصبر عنك .

(٢) فان مع العسر يسر ان مع العسْر يسرا .

(٣) والســعى فى الرزق والارزاق قــد قــسمت بغى الا ان بغى المرء يصرعــه

(٤) لا تودع الســروشــاء به مــذلا فــمــا رعى غنمــا فى الدو ســرحــان

(٥) ومن يتوكل على الله فهوحسبه

(٦) الا حــبــذا حــبــذا حــبــذا حــــبـــــيب تحـــملت منه الأذى

(٧) قال ابو دهبل الجمحى يمدح النبى عليه السلام :

نزرالكلام من الحـــيـــاء تخـــاله ضـــمنا وليس بجـــســـمــه ســقم

(٨) أفمن شرح الله صدرَه للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله .

الاجابـــــة

الرقم	التعبير ونوعه	الســـــبب
(١)	مساواة	اذ الفاظه قدر المعانى التى نحا نحو مامن البث والشكوى .
(٢)	اطناب	بالتكرير لقصد التوكيد وتثبيت المعنى المراد .
(٣)	اطناب	بالاعـتـراض فى قـولـه والأرزاق قـد قـسـمت ، وبالتـذليل الجارى مجرى المثل فى قوله الا ان بغى المرد بصرعه .
(٤)	اطناب	بالتذليل الجارى مجرى المثل فى الشطر الثانى .
(٥)	ايجاز بالقصر	لأن الفاظه اقل من معانيه فقد دخل تحت قوله فهو حسبة من المعانى مـا يطول شرحه من ايتاء مـا يرجى وكـفاية مـا يخشى .
(٦)	اطناب	بالتكرير للتأكيد .
(٧)	اطناب	بالتكميل بذكر من (الحياء) دفعا لتوهم ان ذلك من عى .
(٨)	ايجاز بالحذف	اذا التقدير كمن لم يشرح صدره .

تمريـــــن أول

بين الايجاز والاطناب والمساواة فيما يلى :

(١) يهون بالرأى ما يجرى القضاء به من أخطأ الرأى لا يستذنب القدر [1]

(٢) وقال الذى آمن ياقوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد ، يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار .

(٣) تراه كـــأن الله يجـــدع انفـــه (وعـــينيـــه) ان مـــولاه تاب له وفـــر

(٤) اسجنا وقيدا واشتياقا وغربة ونأى حـــــبـــــيب ان ذا لعظيم

وان امـــرا دامت مـــواثيق عـــهـــده عـلـى مـــــــئل هذا انه لكريم

(٥) ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

(٦) ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الأرض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا .

(٧) فـــسائل هداك الله اى بنى اب من الناس يسعى سعينا ويقارض

(٨) سئل بعض الادباء ماكان سبب موت اخيك فقال (كونه) فاحسن ما شاء .

(٩) ﴿ انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وانى سميتها مريم ﴾ .

تمريـــن ثـــان

(١) فـــقلت يمين الله ابرح قـــاعـــدا ولو قطعـــوا رأسى لديك وأوصـــالى

(٢) ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ .

(٣) وقال عليه السلام « حبك الشئ يعمى ويصم » .

(٤) فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لوتعلمون عظيم انه لقرآن كريم .

(٥) لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون .

(٦) حليم اذا مـــا الحلم زين اهله مع الحلم فى عين العـــدو مـــهـــيب

(٧) فـــدعـــوا نزال فكنت اول نازل وعـــــلام اركـــــبـــــه اذا لم انزل

---

(١) استذنب القدر نسب اليه الذنب .

(٨) وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا .

(٩) وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت .

نموذج عام على المعانى

تلكم من المعانى على مايأتى :

يهوى الثناء مبرز ومقصر حب الثناء طبيعة الانسان

الاجابة

ان تطبيق جملة من النثر او بيت من الشعر على فن المعانى يستدعى ان تعرض ابوابه فترى فى هذا البيت .

(١) جملتان خبريتان اولاهما فعلية مضارعة تقتضى الاستمرار التجددى بدليل ان الغرض الموعظة ، والثانية اسمية تفيد الاستمرار والدوام كما هو شان الاخلاق والغرائز .

(٢) كل من الجملتين ضرب ابتدائى خال من المؤكدات .

(٣) ذكر المفعول لأن القصد تعلق الفعل به .

(٤) قدم المفعول على المسند اليه فى الجملة الأولى لانه الأهم فى الكلام .

(٥) نكر المسند اليه لقصد التعميم .

(٦) عرف المفعول بال لارادة الجنس .

(٧) فصل بين الشطرين لأن بينهما شبه كمال الاتصال لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر .

(٨) فى البيت اطناب بالتذييل الجارى مجرى المثل .

نموذج ثان

انشاء يمزق اثوابى .يؤدبنى ابعد شيبى عندى يبتغى الادبا

الاجابـــة

(١) فى الشطر الاول جـملتان خبريتان من الضرب الابتدائى وفى الشطر الثانى جملة انشائية .

(٢) الغرض من القاء الخبر فيهما التحسرعلى تلك المعاملة القاسية التى عامله بها ابنه .

(٣) قدم الظرف وهو بعد فى الشطر الثانى لأنه محط الانكار .

(٤) الاستفهام فيه للتوبيخ .

(٥) قيد الجملة الأولى بتابع وهو عطف البيان لغرض الايضاح والبيان وقيد الجملة الثانية بظرف الزمان لأنه هو المقصود بالانكار .

(٦) فصل بين جـملتى انشا ويؤدبنى لأن بينهـما كـمال الاتصال لأن الثانية بيان للأولى ، وبين جملتى انشا وابعد شيبى لأن بينهما كـمال الانقطاع لاختلافهما خبرا وانشاء .

(٧) فى البيت اطناب بالتذييل غير الجارى مجرى المثل .

علم البيان

البيان لغة الكشف والايضاح يقال : فلان أبين من فلان اى أوضح منه كلاما واصطلاحا علم يستطاع بمعرفته ابراز المعنى الواحد فى صور مختلفة وتراكيب متفاوتة فى وضوح الدلالة مع مطابقة كل منها مقتضى الحال .

وتقييد الاختلاف بالوضوح لتخرج الالفاظ المترادفة كليث وأسد وغضنفر فانها وان كانت طرقا مختلفة لايراد المعنى الواحد فأختلافها انما هو فى اللفظ والعبارة لا فى الوضوح والخفاء .

واللام فى المعنى الواحد للاستغراق العرفى اى كل معنى يدخل تحت قصد المتكلم وارادته فلو عرف أحد ايراد معنى واحد كقولنا على جواد بطرق مختلفة لم يكن بذلك عارفا بالبيان .

ايضاح هذا التعريف ان الضليع من هذا الفن اذا حاول التعبير عما يختلج فى صدره من المعانى وجد السبيل ممهدا فيختار ما هو أليق بمقصده واشبه بمطلبه من فنون القول واساليب الكلام فاذ حث همة الشجعان على اقتحام غمار الوغى يهرهم بساحر بيانه وعظيم احسانه ، فان شاء شبههم بأسود خفان فقاتل كأنكم اسود لها فى غيلَ خفَّار [1] أشبل ، وأن شاء استعار وقال انى أرى هنا أسودا تتحفز للكر والفر وتثب لاقتناص فرائسها ولها قرم [2] الى الاخذ بنواصبها وحز أرؤسها ، وان ارادكنى عن مقصده وورى عن مراده فقال ، لبسوا لعدوكم جلد النمر [3] واقلبوا له ظهر المجن فانه قد ورم انفه عليكم وداسكم تحت اقدامه .

هناك تناديه القلوب وتتسابق اليه الفرسان قائلة لبيك لبيك ها نحن اولاء نحمى

---

(١) ماسدة مشهورة بضراوة أسدها .

(٢) شهوة الطعام .

(٣) كناية عن اظهار العداوة ومثله ما بعده .

الذمار ، ونجير الجار ، ونجدل الأفر ، ونصرعهم فى الميدان ، ونبيع النفوس رخيصة ونشترى بها المجد والسؤدد .

ونبنى كـــمـــا كـــانت اوائلنا تبنى ونفـــعل مـــثل مـــا فـــعلوا

وان دعاء النفوس لمكرمة وهز العطف لمحمدة أمكنه ان يقول كأنكم البحور يعم فيضها القاصى والدانى وتطعم بأنعامها الفقير والغنى ، أو يقول هذه البحور على سواحلها القصاد ، تقذف امواجها ما يفرج كربة اليائس ويدفع الضر عدم المعدم ، أو يقول انى أرى مجدا مد سرادقه وندى ضربت خيامه .

اذ ذاك تسخو كف البخيل ويهتز عطف الكريم وتصبو النفوس لاكتساب المحامد ونيل المجد بالثمن الربيح .

موضوعه اللفظ العربى من حيث التفاوت فى وضوح الدلالة بعد رعاية مطابقته مقتضى الحال .

فائدته – ستعلم مما يلى ان مباحث البيان محصورة فى المجاز على انحائه اى انه بمعنى اعم يشمل الكناية ، وان التشبيه انما ذكر فيه لبناء الاستعارة عليه .

والمجاز ثروة كبيرة فى اللغة من جهات عدة منها :

(١) الاكثار من الالفاظ وتعدد الوضع تفننا فى التعبير كتسمية المطر بالسماء والنبات بالغيث على ما سيأتى .

(٢) التذرع الى الوضع فيما لم يوضع له لف من المحسوسات كقولهم ساق الشجرة وابط الوادى وعنق الابريق وذؤابة الرحل [١] .

(٣) التذرع الى الوضع لتمثيل صور المعانى كقولهم [٢] البرق سبح [٣] الفرس .

(٤) الرمز الى حقائق المعانى كقولهم سافر ولا ظهر [٤] له وفلان يملك رقبة اى

---

(١) الجلدة المعلقة على آخر الرحل .

(٢) لمع خفيفا اخذوه من نبض الخرق .

(٣) مد يده فى الجرى كما يفعل السابح .

(٤) اى لا دابة له يركب ظهرها .

عبدا وهاك مثلا يبين لك اتساع للغة بالمجاز ذلك ان مادة كف اصلها الكف وهوالجارحة ثم تصرفوا فيها واستعملوها على انحاء شتى مجازا فقالوا .

كفه عن الأمر اذا منعه كانه دفعه بكفه من استعمال اللفظ فى لازمه مجازا مرسلا ، وكف هو عن الامر اذا امتنع وهو من وادى سابقه ، واستكف السائل وتكفف اذا طلب بكفه ، واستكف بالصدقة اذا مد يده بها لتغطيه اياها ، وكفة الميزان لشبهها بالكف فى الشكل ، والكفه النقرة المستديرة يجتمع فيها الماء ، واستكفوا حوله اذا احاطوا به ينظرون اليه ، الى نحو هذه المعانى التى ترجع كلها الى معنى الكف .

فالمجاز اذا غذاء اللغة والروح الذى لا تحيا بدونه ولا قوام لها الا به ، ولولاه ما كنا نرى فيها البهجة والجمال اللذين يتذوقها كل ناطق بالضاد .

(واضعه) اول من دون مسائل هذا العلم او عبيدة معمَر بن المثنى فى كتابه (مجاز القرآن) وتبعه الجاحظ وابن المعتز وقدامة بن جعفر وابو هلال العسكرى ، وما زال يشدو شيئا فشيئا حتى جاء الامام عبد القاهر فأحكم اساسه وشيد بناءه .

الدلالـــة

علمت مما سبق ان فائدة هذا العلم ابراز المعنى بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة فناسب تعريف الدلالة وبيان اقسامها فنقول :

الدلالة فهم أمر من أمر والأول المدلول والثانى الدال ، وهى اما لفظية واما غير لفظية والثانية لا علاقة لها بمباحث هذا الفن ، والأولى اقسام ثلاثة :

(١) دلالة اللفظ على تمام مسماه وتسمى دلالة المطابقة كدلالة الانسان والأسد على حقيقتيهما .

(٢) دلالة اللفظ على بعض مسماه وتسمى دلالة التضمن كدلالة البيت على السقف اوالحائط .

(٣) دلالة اللفظ على لازم معناه كدلالة الانسان على كونه متحركا او شاغلا لجهة او نحو ذلك . وشرطه اللزوم الذهني [١] (سواء اصاحبه لزوم خارجي ام لا) بحيث يلزم من حصول المعنى الموضوع له في الذهن حصوله فيه اما على الفور او بعد التامل في القرائن والامارات ، لكن لا يشترط ان يكون اللزوم مما يثبته للعقل [٢] بل يكفي ان يكون لعرف عام [٣] او عرف خاص [٤] كاصطلاحات ارباب الصناعات والاصطلاحات الشرعية واللغوية .

والدلالة الأولى تسمى عند البيانين وضعية ويستحيل تفاوتها وضوحا وخفاء ، لأن السامع لشئ من الالفاظ الموضوعة اما ان يكون عالما بالوضع للمسمى اولا ، فان كان الاول فانه يعرفه بتمامه بلا زيادة ولا نقصان ، وان كان الثاني فانه لايعرف منه شيئا اصلا .

والثانية والثالثة تسميان عقليتين ، لأن اللفظ على الجزء ، واللازم مصدرها العقل الحاكم بأن الحصول الكل مستلزم حصول الجزء ووجود الملزوم مستلزم وجود اللازم ، ويتأتي فيهما الأختلاف وضوحا وخفاء ، اذ لوازم كثيرة بعضها قريب اللزوم يسبق الى الذهن فهمه بسرعة وبعضها يعيد فيصح اختلاف الطرق فيها ويكون بعضها اكمل من بعض في الافادة ، وكذا يجوز ان يكون المعنى جزءا من شئ وجزءا لجزء من شئ آخر فدلالة الشئ الذى ذلك المعنى جزء منه على ذلك المعنى أوضح دلالة من الشئ الذى ذلك المعنى جزء من جزئه على ذلك المعنى ، فدلالة الحيوان على الجسم أوضح [٥] من دلالة الإنسان عليه ، ودلالة الجدار على التراب اوضح من دلالة البيت عليه .

---

(١) اى انه لا يشترط اللزوم الخارجي ايضا الا ترى ان العمى يدل على البصر التزاما اذ هو عدم البصر عما من شانه ان يكون بصيرا مع التنافي بينها في الخارج .

(٢) وهو اللزوم البين المعتبر عند المنطقيين والا لما تاتى الاختلاف بالوضوح في دلالة الالتزام ولخرج كثير من المعاني المجازية والكناية لانه ليس بينها وبين ملزماتها مثل هذا اللزوم .

(٣) كلقاء الحبيب بالنسبة لاختلاج العين اذ كثير من الناس يعتقد ان اختلاج العين يبشر بلقاء الحبيب فاذا قلت لواحد من هؤلاء عيني تختلج فهم من ذلك انك ستلقى حبيبا .

(٤) كما اذا قلت هذا قدوم على فهم السامع انه نجار .

(٥) لان دلالة الحيوان عليه بلا واسطة بخلاف الثانية .

وفى هذا مجال لقائل اذ الدلالة الوضعية ربما يعرض لها الوضوح والخفاء ألا ترى انا نجد فى انفسنا الفاظا محفوظة لدينا معلومة الوضع ومع ذلك يحضر لنا معنى بعضها بنفس الالتفات اليه لكثرة الممارسة او لقرب العهد باستعماله فى معناه او لقرب العهد بعلم وضعه ، وبعضها لا يحضر معناه الا بالمراجعة مرة بعد اخرى لطول العهد بعلم وضعه ، ولعدم تداوله – اضف الى ذلك ان التركيب الذى فيه تعقيد لفظى لا يفهم معناه الا بعد التأمل مع العلم بوضع جميع الفاظه – فليس ببعيد اذا ان تكون قابلة الوضوح والخفاء .

وقد أجيب عن الأول بأن التوقف والمراجعة لطلب تذكر الوضع المنسى لا لخفاء الدلالة بدليل أنا عندما تتذكر الوضع نعلم المعنى من غير توقف ، وعن الثانى بأن الهيئة مختلفة والكلام عند اتفاقها لأن لها دخلا فى الفهم الوضعى .

أبواب الفن

اعلم ان اللفظ ان استعمل فى معناه الموضوع له فحقيقة ، وان استعمل فى غيره لعلاقة مع قرينة فاما مانعة من ارادة المعنى الاصلى فمجاز ، واما غير مانعة فكناية .

والمجاز ان كان لعلاقة المشابهة فاستعار مفردا كان او مركبا ، وان كان لعلاقة غير المشابهة فان كان مفردا سمى مجازا مرسلا وان كان مركبا قيل له مجاز مركب مرسل .

والاستعارة مبنية على التشبيه فوجب التعرض له ، فعلم من هذا وبما تقدم من ان الدلالة الوضعية لا تتفاوت وضوحا وخفاء على المشهور ، ان ابواب هذا الفن أربعة : التشبيه المجاز بقسميه . الكناية – اما الحقيقة فانما تذكر فيه ليتضح مقابلها وهو المجاز أشد الوضوح (وبضدها تتميز الاشياء) وأيضا فهى أصل المجاز وهو فرع لها فناسب ذكرها فى الفن تبعا .

ويمكن ايضاح ذلك بما تراه فى الرسم الآتى :–

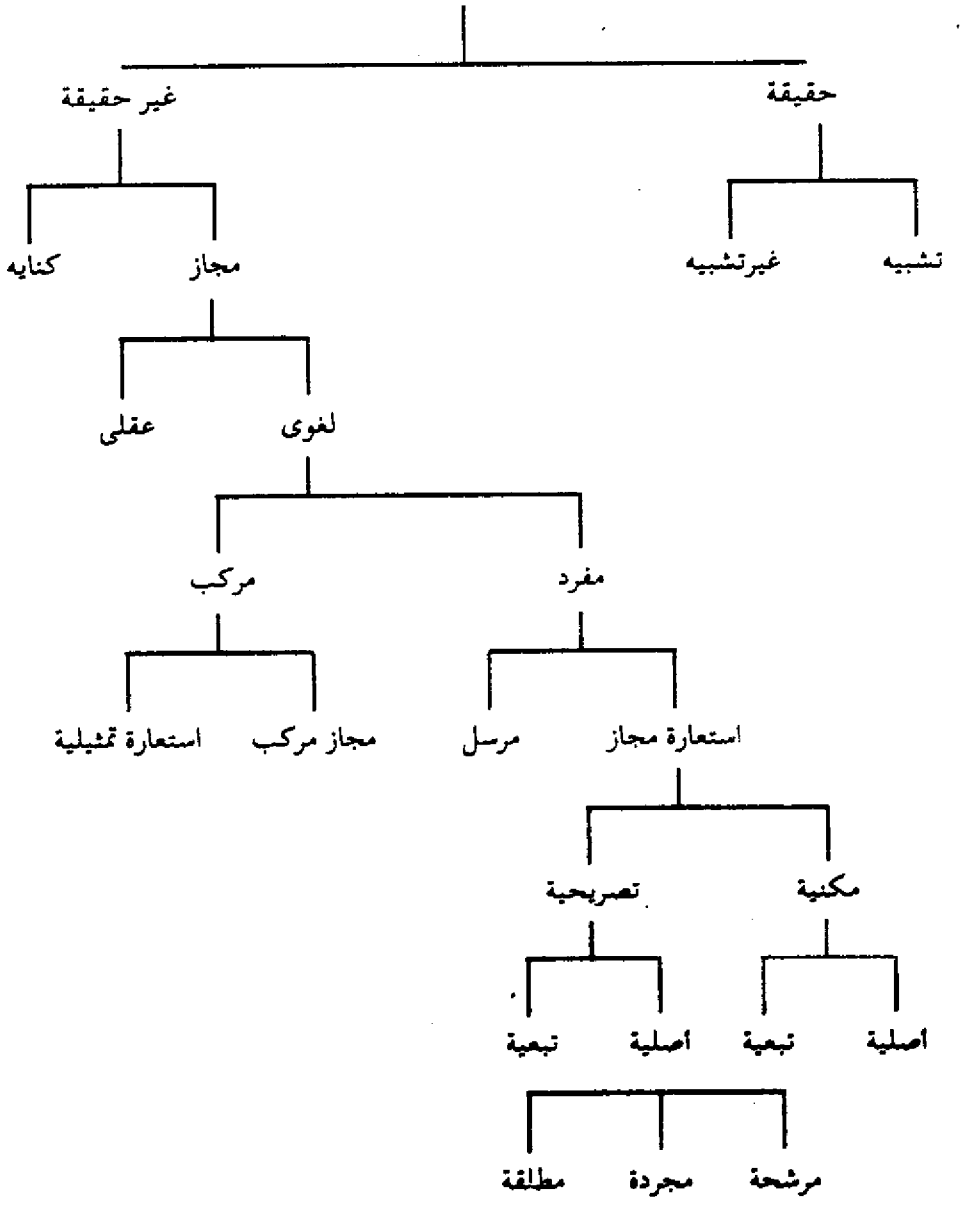
حقيقة
غير حقيقة
تشبيه
غيرتشبيه
كنايه
مجاز
عقلى
لغوى
مفرد
مركب
مرسل
استعارة مجاز
استعارة تمثيلية
مجاز مركب
مكنية
تصريحية
اصلية
تبعية
اصلية
تبعية
مرشحة
مجردة
مطلقة